
البارق
قصيدة - قصة
محمد كريم الكواز

البارق

قصيدة ـ قصة

محمد كريم الكواز

١٩٧٣

مطبعة النعمان ـ النجف الاشرف ـ هاتف ٣٢٠٩٧

الی دنیا

ـ ٥ ـ

ـ ١ ـ

على السرير ، في الفسحة المظلمة بين وجهه والغطاء تتسرب حزمات ضوء سقيمة ، تحيل وجه الظلمة الاسود الصافي الى كدرة تختلط فيها رائحة جسمه مع شحوب لون فراشه الذي لم يستكمل بياضه بعد ، مع شريطين يهربان من عينيه ويقفان كنيزكين ، يذبلان ويذوبان في وعاء الليل .

افكاره ككل صباح تركض ، تركض ثم تلتف وتتكور كبيضه . بهت ، فشدّ انتباهه على محور عينيه اللتين بدأتا تدوران في ارجاء الفسحة المتضاربة المحتويات .

وتململ ، فأحسّ دفء موضع جسمه حينما استعار وضعاً آخر لم تذب فيه حرارة انفاسه المنبعثة على طول موازٍ لأمتداده .

وخلال تحركه تصارخت حزمات ضوءٍ اخرى . وإندفعت بسرعة ترسم في الفسحة هياكل وتماثيـــل مشوهـــة ، وكثبان رملية ، تزين لوحـــة الصحراء بالجفاف .

وآثار أقدام تنام في الرمل المستدق ، شوهت العاصفة ملامح وجهها فبدت كأنها لاشخاصٍ خفيفي الوزن كالاشباح .

وخطوط تنسج خيولاً نابتة فيالميدان بلا فرسان يتناسق صهيلها مع الضوء الذي يركض الى الداخل ،

وكلما يمتلىء صدره بالهواء تنمحي رسوم الخيول وتترك صهيلهـا ، حتى اذا هرب الهواء من صدره حاملاً فقاعات نتنه تعود الخيول تركض من بداية خط السباق على الموسيقى ذات الدرجات المتساوية التي تعزفها ساعة البيت الجدارية التي بدت عليها تلافيف الظلام فأصبحت دقاتها أكثر عقلانية .

تن — تن

تن — تن

تن — تن

تنتظم هذه الدقات مع أفكاره المضطربة على وتيرة واحدة .

تصل به بعداً غير معروف الزمن ، كأنه يستلقي

على منحدر حصى واحجار ناتئة ، تنهال به الى هوة الغيب وتتوالى بالسقوط عليه ، تغطيه الى رأسه ، فيتخبط وتتجلى امامه كشوف — .

الكشف الاول :

الصوت الحيرانُ يلفّ على الآفاق ، يدور
يحمل بعداً ، يمتدُّ ويقصر ،
ابعاداً ، ابعاد
يتجسدُ غرساً . . . .
تأكله اشباحُ الاشياء على مائدة الديجور
من تتركه الأيدي المسحورة ...
مسحور

ولقد اتمزق يازمني ، ذرات رماد
تهطل في سفحي امطارك ليلا
تجمعني وحلا
يشبك درباً يتراكض نحو الفجر
تنصبني جدراناً ليليّه
تلطم وجه الحيران :
وتدمي عينيه ،

وتطعن قلبه
بسكاكين الظلماء

تشرع اوهاماً في كوّة ضحكته
تمحو دربه
تقتل في سجدة خشيته ربه
فتسيل دماءً حمراء

حمراء
تسرق الوان الغبطة من شفتيه
تغرس اشواكا في كفيه
وأنا في صفحة نكبته السوداء ، اشم دماء
واسافر في مملكة الحيرة ،
في الاشلاء

ـ عدمٌ خطواتك ، لا تتعبْ

ـ ظلمٌ ، ظلمٌ ، ظلمٌ

فعيوني تحياك ورغم الظلمةِ تحيا

افكاري رغم تبعثرها افكار

والجمرةُ نارْ

الكشف الثاني :

مملكة يحفها سور الضباب
جدرانها جماجم الثوار والعبيد
منائر الدين القديم وسطها ،
صيحات عبدٍ تحت اغلال الطغاة
كتابها رماد
عشعش في أروقة العباد
وفي فسيح جيشها
مشنقة

لكل زنديقٍ وكافر
يولّد الشقاقْ
بين ملامح الفجر وبين شهقة العذاب
يقتلني ... .
على دروبها حديثُ آثمٍ
يقول انها العراقْ
اجهدُ نفسي ان تموت

الكشف الثالث :

حين دخلتُ مدائن عشقي الأولْ
لم اتعرف شرفات النور المنقبض على شطيها
كانت امواج الفرحة ، يضربها سيف المحتلْ
تنزف دم
ورأيت مساجد اهليها
تركع في بركة دم
فدعوت لها من ربي
ان تتهدم

الكشف الرابع :

ركبت متن الغيم والهواء°
فبللتني حسرة الجائع في دروبها الفقيرة
وددت لو تأكل من لحمي رغيف يومها وتمضي
لكنّها ابت°
وعدتني جبان
وحينما غادرتها رأيت عينيها كبيرة
عشقت رغم خسّتني ،
عيونها الكبيرة

* * *

ضربات الساعة تخترق رأسه المثقل باشياء كثيرة يظن ان قسماً منها التعب الذي تخلف تحت حوافر خيل السهرة الماضية .

وعندما تراكمت الضربات امتلأ رأسه ، فجلس

كان الغطاء لم يزل يقيه امطار البرد التي تغسل سماء الغرفة .

الجدران الاربعة تغوص في بحر الرطوبة حتى ركبتيها .

طالما جالسها الليل ، يناولها كأس التأمل ، فتسقيه وتسقيه ويثمل وتتراءى له عرائس البحر اللواتي يغطي الماء سيقانهن البضة . وقد تلألأت الضفائر ، تتوازى

وخصلات الشمس المتراقصة •

ستارة النافــذة تلتصق بشكل كريه بالرطوبة المتسلقة دونما تعب الى علو النافذة • ومن وقتٍ لآخر تقع في هذا السجن بعض الصراصر ، تجتهــد بالحركة الى جميع الاتجاهات الى أن ينقطع عنها خيط الحياة • فتبتني قبورها بهندسة معينة في الزاوية المجاورة للنافذة تنحني منضدة" تتبعثر عليها كتب" وأوراق مفرطة من دفتر اصفر ، تتخللها اعقاب سكائر وعيدان مشتعلة •

وفي ركن ظاهر من المنضدة تجمعت ثلاثة دراهم اقتربت من بعضها لتتلافى البرودة • كانت جيوب

سترته المعلقة على الجانب الآخر تتشوق لاحتضانها ومعانقتها .

امتد مستقيم ضوئي على ارضية الغرفة ، ينزلق من ستارة النافذة ليبرهن أن عليه ان ينهض .

وعلى المرآة اخذ يتأمل الشكل المتجسد فيها ويتفحصه .

هذا الملتفّ على عنقي
المتربّع في لون عيوني البادية الحيرة
منْ سافر عبر الخوف الى مدن المجهولْ
منْ عاد بلا بللٍ في كفيه
اتجسدُ فيه ، اسافر عبره
وخلال مرايا الآتين رأيت ظلالاً من كتفيه
تصعد منها هالات الأمل الصارخ في لون الرحلة
وتغوص •••• تغوصُ الى الاعماقْ

تتسللُ ....

تحبو ....

تسمو للآفاقْ

وتغوص وتسمو

تقفزُ من بعدٍ نحو الآخرْ

تبطيء في القفز الخطوات

ترسم دربين اثنينْ

دربا تنهال على ضفتيه الضحكات

دربا تتكور في انجمه اللعنات

والقفزةُ من بعدين

هذا المتكدّسُ في نبضي

هل املك ان اجمع نبضي ... ؟

هل املك أن اوقف نبضي ... ؟

اسأله عن عدد الدقاتْ .. ؟

ارسم من تجريد اللوحة شكلاً ... ؟

اذُناً .. ؟

تترسب فيها آلاف الاصوات

عيناً ... ؟

تتخاصم فيها الألوان

أنفاً ... ؟

يركضُ نحو جذور الرائحة الصغرى

لوناً ... ؟

ظلا ... ؟

هل ارسم نبضاً .. ؟

هذا المتكدّسُ في نبضي

***

جاء صوت اخته من خارج الغرفة

— اتبقى نائماً .. ؟

— هل حضر الفطور ... ؟

— ٢ —

الزقاق الذي ينام بيته في وسطه لا يتسع لمرور السيارات الكبيرة •

وإن الخطين المحفورين على امتداده لعربة نفط • فوق البيوت التي تتراصف كأجزاء مسطرة ، يبدو الافق مستقيماً سوى بعض رؤوس أعمدة التلفزيون التي تنتصب دونما حذرٍ من البرد الذي يسكن تقويم هذه الأيام •

بالرغم من ان المطر قد استضاف المنطقة قبل شهر

إلا انه ترك ثيابه مسدولةً على واجهات البيوت وارضية الزقاق . ومن خلال البخار الخفيف الخارج من أنفه ، تتراءى له صفائح القمامة ، امام كل باب كحارس بلا احساس .

وأوراق رسمت عليها القذارة فأضاعت سطورها الحقيقية . وافكار تجمدت على طول مسير الاشخاص المتأخرين ليلاً . الذين يرسمون خطواتهم قرب خط الواجهات بوجل سمع أحدهم مرةً قرب نافذته يغني بدمدمة .

وامام كل بيت ينفتح مجرى معلومات يقرأها بسرعة ويقذفها الى وراء ليستلم دفقة معلومات اخرى .

اصابع ابيه عندما تتحسس عرزة المسبحة تدفعهـا لتستلم أخرى بصورة لا شعورية .

يصل نهاية الزقاق . ينزوي بيته ، فلا يستطيع رؤية واجهته إلا من طرف ، حيث تقفز قطة الى النافذة المغلقة ، تنزلق بعد أن تترك آثار مخالبها لتتملق بها نازلةً كحبال وهمية الشارع الرئيس ينبسط . لتنهزم عليه السيارات المحملة برؤوس ترقب ما يأتي من مراحل الطريق . لتنطرح قرب ارصفته المياه الآسنة الباردة التي تنام تنتظر حرارة حزيران . فتنسج لها اجنحة بخارية .

اعمدة الكهرباء تتناول السيارات بأيدي السرعة

لترميها صغيرة في البعيد •

أن المنتظرين على الارصفة وضعوا ايديهم في جيوبهم بشدة • كأنهم ينتظرون صفعة اخرى من كف الهواء البارد • وقد انتشروا على ابعاد اللوحة بدون انتظام إلا امرأتين ، تتبادلان اقفاس البخار • قيل انهما تشتغلان في مكانٍ ما •

بينما أستند رجل —عبر محطة السنين الاربعين— على مسحاته • حتى يخيل انها نمت مع قامته • وجهه يترقب السيارة التي ستقف • •

ـ هل يعرف شيئاً هذا المجهود° •• ؟

ـ هذا الشارع يركض ، يتعبُ منتهياً

يرميه على عتبهِ بيت° •

هذا البيت يعومُ على بحر من جوعٍ ، من بردٍ

هذا البردُ يغوصُ ، فترتجف الاوصال تدق الموسيقى

الأولى •

ـ ماذا يعملُ في هذا الصمت ؟

ـ جدران القلبِ تنزّت° ببخورِ القربان

القيعان تسيلُ دماً

وهنالك بين الاعمدةِ ـ الصرخات°

تتهافتُ أثوابٌ تخفق ،
ترقصُ في الاهواء°
وصباح مساء°
تبدو أفواهٌ ، يترسبُ فيها الصوت°
(ارأيتَ ابي .... ؟
اماهُ اتاقا ...)
تعصفْ ريحٌ هوجاءٌ
تقلعُ من رأس الآتي اشجار الذاكرةِ الصحراء°
تذروهُ هشيماً في كف الاقدارِ الهمجية
يتمزقُ بين رياحِ الصرخة ، بين سعال الوجدان°

ـ أتراهُ يعودُ غداً •••• ؟

ـ الشارع نفسُ الشارع ، يركضُ ، يتعبْ
الاشجارُ المغروسة في ارضِ الخوفِ تطارده
تتطايرُ أوراقٌ
تقصفُ عينيهِ ، تلمُّ على زنديه الديدانْ
يحملُ انفاساً مقطوعة
ينبضُ خوفاً ، غضباً ، جزعاً •

ـ هل يعرفُ شيئاً هذا المجهول ••• ؟

استقرت السيارة قرب الرصيف بتنهد • تبدو عليها • اوسمة والتراب • يختلط لونهـا المصفر بلوحات غامضة •

رسمتها ريشة الطين المبلل • وقبل أن تفتح الباب إنهال الواقفون عليها بلهفه • شدتهم حبال الحركة العشوائية الى الصعود بأسرع وقتٍ ممكن ، وقد ترك كلٌ منهم على ملابس الآخر بقعة طينٍ ربمـا للذكرى • وتمتزج مـع مخاضهم اليومي صيحات جزعة :

ــ حذائي •

وهمهمات غاضبة من الرصيف :

ـ اليوم تنبيه على التأخر •

بينما يمر أطفال يلبسون ملابس كثيرة ، على رؤوسهم ارغفة الخبز ذي خمسة فلوس • يضحكون من رجلٍ سقط وسط الزحام فأتشحت ملابسه ببقع الوحل يلعن هذا الزمن المسرع •

***

بدافعٍ من فضوله • احبَّ أن يتمعن في ضجيج هذه الجموع المتدفقة نحو باب السيارة • أراد ان يتبيَّن هدفهم المتجسد في وجوههم •

مع غبار الايام وتجاويف أقدامها المنغرزة على جباههم • وملابسهم حيث تترك مخالبها على صوره

تمزق .

يعرف كثيراً منهم ، كان قد تفحص هيئاتهم وحركاتهم وكلامهم . إلا أنه لم يفهم كيف يعللون حياتهم ، يلفه غبار أسود . وتدور به افكارهم المبهمة، وترمي به في نهاية الرحلة على مفترق طرق عديدة .

يتمزق عندها ، وتنطفيء هناك شموع الامل في الوصول الى المنبع لعله يجد شيئاً يعودُ به .

إلا أنه لا يعود ، بل يتيه على تلك الطرق المقفلة ، تخفق به الرايات كلما هبَّ ريح . ويسأل ويظل ، ويتعرج به النقاش الطويل يجهد ان يربط النهاية بالبداية . ويجهد ويسأل ، ويستلقي متعبا

ترف على عينيه اجنحة الحيرى ، فيه جذوة تظــلُّ . تستعرُ في اعماقه . يتساءل في بعض الأحيان ويضع نهاية المسرحية . حسب إرادته لكنه يضجر من حركاتهم المزيفة . يريد أن يتعلموا كيف يتحركون ويضعون للمسرحية نهايةً تقنعهُ . يتحسس رائحة الزيف تدبُّ الى رأسهِ .

حين كساني الزمنُ الظلم ثيابه
أنبت في رجلي رجلاً اطول
واهال الظلمة في عيني حتى الموت
وعلى دقاتِ اللهفةِ في قلبي وضع الصخر الجبلي
يخلو من كهفٍ مظلم
سدَّ على قلبي ميتةً أبوابه
قفراً يتراقص باللاشي

ادخلني ـ عبر صراخ الجمهور ـ الساحه°
توّجني ملكاً في ارض الصمت°
لا صارع ثيران الشبق الثائر كاللعنات°
لا مزّق صدر الثورة بالأموات°
لكني ! (الرجل الأطول والظلمة والصخر الجبلي)
فقفزتُ كثورٍ همجي
تحملني القرنان الى ضحك الجمهور
فتلوسُ ثيابي الارجلُ ، تهتفُ :
(يحيا الثورُ ويسقطُ سيفٌ مكسور°)
لم يدروا سيفي خشبي

وهتفتُ ، فكان الصوتُ تراباً يرتدُّ على وجهي
ممزوجاً بدماء الدورِ الخاسرْ
وخلال خروج الجمهور الخاسر
شاهدتُ الثور تمرّغ ، أرخى رجليه
يبركُ في ندم التمثيل الانساني
ويباركُ والحيرةُ في عينيه
أسمى آيات الخسرانِ

ودّعني الثورُ وغابْ

يجرّ ذيلهُ المتين كالنداء

أحبّ ان ازوره في بيته البسيطْ

حيثُ اعدّ حفلةَ اللقاءْ

خالية من ظالمينْ

خالية من حاقدينْ

ودعني الثور وغابْ

في بعض الأحيان لا يجد نهاية يضعها هو ولاهم فيتخبّط معهم يأمل ان يملأ عينيه نور • يقرأ ظله المرتسم على جوانب اللحظات المارة من جنبيه •

تغرسني يازمن الحقد على جرف الأيامْ
تشرعُ قلبي راياتٍ تخفقُ ، شوقاً ، حباً ، فجراً
ينسابُ على الميناء الغائص في وحل الآلامْ
اسمعُ دقات التعب الدفّاقة في جوف الامواج
ولكني عاودتُ السمعَ لعلّي اقطف من موسيقاها
شتلة .
آخذها للقاضي برهاناً يبصقُ في عينيهِ
احملها وشماً في صدري

وعندما أدلف رقصة الشهودْ
اكشف صدري واقول ايها العميانْ
تلمَّسوني جيداً
توجسوا الجرحَ على ملامحي يا أيّها العميانْ
لكنّكم عميانْ .

***

تغرسني في وجه العارْ
اركضْ
احمل في جذري
اركضْ
في ثوبي نارْ

تركبني متنَ الريح المهزومة
تحرق أوراقي
ينساب الزمن ويبقيني في أثر الديمومة
عدماً
لا ......
فرمادي في الاهواء°
في النبضة في سرّ الاشياء°
ودخان عيوني يطفو
يتجسد في الاحياء°
من يقدر ان ينسى ظله ؟

***

تغرسني يازمناً في اللحظات
تثبتُ رأسي تحت مدارٍ لا يعرف طولاً
امتدُّ مع الصوت الهارب من كهف الحيرة
اتمطى
تبني وجهي للكهف ملامح خوف يحبو
في حذرٍ
يخدش أشرعة الاحلام فتغرقْ
تحملها القيعان بكفي سعلات خوفيه
اتمطى

آه ٍ يازمن اللحظات الوقتية
قلبي في قارعة الدمعة ملقى
كقتيل ينتظر القاتل ان يجهز ثانية ً
قلبي في قوقعة الحسرة مكنون°
وعلى فوهة البركان تطاير أفقا
قلبي يتهافت والنبضات المذبوحة في وجه المحزون°
ينزل ضوءاً في الاعماق
ويجالس خلقاً ممّن يفتقدون الوجه الحرباء

في ذاك العالم لا ديدان" لا حشرات
يسرق من احلامهم الاعماق ويأكل سفر الاحلام الخضراء
حين يفرُّ أراه تضخم عن صدري
وجثا فوقي عملاق
ادرك ان جناح الطير هو الآفاق°
فالصقني يا زمن الجهلاء°
بسهامِ الغدرِ
وسقطتُ وريشي مفروش" في الشمس°
ونزفتُ خيولا
ترسم في الانسام دروباً

تشتلُ في انهار الضوء صهيلا
فتلاحم ثوبٌ يجمعُ كلَّ صهيلْ
سقط الثوبُ فغطى زمن الفقراءْ
يبعث تبع دربهم ارغفه
ويزرع الحبَّ جميع الارصفة
وحينما يأكلُ كلُّ التعساءْ
ويغزلونَ الحبَّ في مصيرهم
ويرسمون طلعةً من وهجِ الشمسْ
يفتح ثوبٌ من أبوابِ الاحلام جدارا

ـ يا فقراءَ الزمنِ النجباءْ
هزّوا بالاحلامِ تساقطْ فجراً
وافتر شوهُ وغنّوا
يسرقُ من طعامهِ الوهميِّ لمحةَ الرغيفْ
يجعلها في هوّةِ الجياع قنديلاً وفجرْ
وضحكةً في اعين الاطفال عندما تكابد الدموع
يهدّم الكهوفْ

يسطعُ في ارجائها المظلمة الخشوعْ
وجارفاً يغرق غيمة القبورْ
جواده بلا عنانٍ يركبُ الديجورْ
يشرع أثر دربه سناً طفيفْ
في نبضةِ الاشجارْ
في هدأةِ المحارْ
اوطانه مزارعُ النجومْ

— ٣ —

السيارة الثانية تقلّ الاشخاص المتبقين ، علامات الغضب تزخرف وجوههم بسرعة ، أدرك ان عليه ان يسرع فالساعة تقارب الثامنة صباحاً .

السيارة تتسع لعدد السيارة السابقة إلا انها لم تحمل عدداً أكثر من العدد المحدد بالمقاعد كما فعلت السيارة السابقة . الغبار وبقايا اكل وقصاصات أوراق وسخة تكون غطاء المقاعد والارضية أضاف الراكبون اقدام طينية على طول الارضية ما بين المقاعد وبين مقعد وآخر . اختلط هذا الغبار بغضب الجالسين الذين يستحثون السائق أن يسرع فلم يبق على بدء

الدوام الرسمي إلا دقائق •

لا يستطيع ان يعترض على وجود ذلك الغطاء الغباري القذر •

اعترض أحدهم في مثل هذه الايام الممطرة الباردة على وجود الغبار فوق المقاعد •

تحرك السائق الى الخلف بأستهزاء واجاب المساعد :

ـ الافضل أن تؤجّر سيارة لك وحدك •

ـ العفو ، اقصد المقاعد وسخه •

تمتم أحد الراكبين :

ـ سيارة عمال •

التفت اليه واعماقه مجمرة" متصارعة الشرر •

تضحكني
بتضخك المغتر في براثن الرماد
ورقصك المخبول حول هيكل قديم
يأكل عينيه الذبابُ والافول
يعشعش الليلُ على جنبيه والسهاد
تضحكني
يا أيّها المخبول
النارُ حول رأسك الثلجي
وفي مدار يومك الذهاب للرقاد
تضحكني
حين ارى عينيك تركمان خشيةً
كخشية الموج

على أمتداد الشارع تزدحم البيوت بوجوهها الطابوقية التي لا تعلو عن الارض كثيراً تقسمها بأعداد متساوية شوارع فرعية يتجمع في نهاياتها الواسعة عمال يتناولون الفطور وقد التفوا حول عربات الاكل. ان ثمن الفطور لا يتجاوز الدرهم .

كانت الوجوه تعلك بأستمرار سريع حين غادر هذه المطاعم المتجولة أكثر العمال منذ ساعة لا تختلف المناطق المارة جنب نوافذ السيارة إلا من حيث عدد المنتظرين على الارصفة والاطفـال الذيـن يحملون اكياساً فارغة يملئونها بحاجيات متنوعة من البيوت يبيعونهـا الى أصحاب الدكاكين الذين يجمعونهـا

ويبيعونها بأسعار أعلى وبكميات اكثر .

لم يتكلم أحد الراكبين طيلة الوقت السابق لعلهم يستريحون من تعب رحلة الصعود السابقة او لـم يأخذوا نصيبهم من الراحة اثناء النوم .

شاهد أحدهم يسكن في منطقته يدفع عنه الأجرة اراد ان يأبى ولكنه عدل وردّ السلام بأبتسامـة قصيرة .

عند أجتياز السيارة الشارع الطويل العابر خلال البيوت باستقامة ، انبسط امامها على اليمين شارع آخر وبالرغم من أن هذا الشارع يلتقي بالشارع السابق إلا ان البيوت الحديثة التي تتراءى باصباغها

الناصعة وزخارفها المعقدة وأشجارها التي تتطاول الى علو النوافذ في الطابق الثاني او في الثالث •

ومحلات السيارات الفارهة الحديثة • تختلف عن امثال بيته في المنطقة •

انه يعشق بيته وبيوت المنطقة ربما لبساطتها وسذاجتها • لم ير أحداً ينتظر على الأرصفة إلا بعض الاطفال الصغار الذين ينتظرون سيارات الروضة •

بينما يعج الشارع بالسيارات الخصوصية الصغيرة يجلس فيها رجل او مع امرأة •

ان منظر امرأة تقود سيارة يثير العجب والتساؤل في منطقته القريبة من العاصمة • وما أن تمرّ تدار

الرؤوس نحوها وتتفحص العيون بتساؤل .

ووجود مدرسة البنات قلل من ذلك التساؤل والتعجب حيث أن مديرة المدرسة تمتلك سيارة تقودها بنفسها انه لا يستعض من ذلك إلا من الساقين العارفين بقسوة تختفيان تحت المقود .

وعندما تراءت له بناية الكلية اتنبه كأنَّ شيئاً يوقظه من شروده وراء هذه المشاهد اليومية وما يتبعها من احساسات وعلى اجنحة هذه اللحظات سرح يتأمّل ظلّه الذي نقشته الشمس بشكل قصير من الجهة اليسرى على كتف الجالس جواره .

مقطوعٌ صوتك يا عطشانْ
أسوار النخل تقوم على درب العائدْ
وجفاف واحات الزمن القابع في الصحراءْ
وعيونُ الرمل تحدّقُ في أثوابك عطشى
جفّ الحبُّ الولهانْ
وتهاوى النخل خشوعاً
تحت فحيح الاهواءْ
وارتبكت في عينيَّ قصائدْ

يا أهلي

يا اهل الكرم الراكض بالنيران

بيدي آنية الحيرة فأسقوني

يا أهلي عطشان

احمل في عيني خوفاً فأحموني

يا أهلي

ياكلَّ الفرسان

كنت نجوماً تهديكم في طرق الليل ــ الغاره

وأراكم قافلةً ....

تتلاشى بين النسيان

عودوا مهما كنتم

يا أهلي
ياكلَّ الاحزانْ ••••
عيناي على الدرب الراحل في خيلاءْ
والاشجار ــ الصرخات الابدية تعدو
تعدو
والارصفة الممتدة من رحِم الجوع تضيعُ ••••
وتكنفها الاشلاءْ
عيناي على عين الدرب تضيعُ
تذوبُ مع الاضواءْ
لكنَّ الاضواء هباءْ

في طرق الليل المهجورة
عبثاً يحملني البارق في وجه الفجرِ
عبثاً تخفق بي رايه
فرماد يجثم في صدري
وعيوني مذرات الالوان بقايا غاية
عبثاً يا رؤيا الدرب تهشّمت الصورة

***

والى اين الرحلة يا وجهي
وتلمس صخر الدرب الليلي على قلبك
فالشجر الشامخ ايدٍ تمتدّ الى لا شي
والارصفة السوداء تنوحُ على قنديل
والضوءُ تصلّبَ في القنديل
بئرٌ يتربصُ في دربك
وانطرح الضوءُ الآخر يركضُ صحت
تمهل
فعسى عيناي المرفأ

ترسو في الاعماق وتشعل فيه الظلمهْ
ويضيفك ليلاً ، تأكل من لهفته النشوى
موسيقا
ويناجيك ، يقبّل خلف رحليك يومه
واعتسفت عيناي فلا نارٌ والبردُ ثقيلْ
وركضت وصدري مفتوحٌ للبردِ
ركضتُ هتفت
تمهلْ

عندي شيء" تبحث عنه ويبحث عنك .
عندي شيء" تبحث عنه
عندي شيء

***

تنخر في أوصالي النبضة
وتجول على اروقتي اللحظة
ويح طبولِ الاحراش الهمجية
تتسلق اعشاش الامجاد ،
تمزّق عرش الانساب الوحشية
وخلال عبور الليلة ، يصرخ بي وجه
يفزعني

ابهت ....

اشعر ان الوحل يذوب ويعجبني

ان أضع الوجه على قلبي

ان اسرق ومضه

تنهال على ذاكرتي الاشلاء بجرفِ النهر

رأس" يتدلى

يشرب من كدر الاعشاب الطينية

رجلا فرسٍ

والفارس مقتول عيناه الى عين الفجرِ

وسحاب احمر يشرب من كدرة ماءٍ حائلْ

ويدٌ ترفع اصبعها في وجه القاتلْ

يا من شردت الرأس بعيداً

يا من …

خنجرك الشامخ في عمق الصدرِ

يامن خيطت الاسماء على الاشلاءْ

ان كنت السائل من يدري …. ؟

ان كنت القاتل من يدري …. ؟

يا زمن اللحظات الوقتية

ان كنت ….

فمن …. ؟



وغريباً عدتُ

ثيابي من ظُلم الرحلة ليل

وعيوني

عكازٌ في الزمن المتمايل يحبو

صدري

صومعةُ الاهاتْ

وجهي

متشحٌ بالاعياد ، يزخرف ضوء الضحكات

لكني يركضُ بي دربٌ ، لكني طفلْ

عيناهُ تلوّنها الساعاتْ

***

والى اين الوجهة ياربِّي

واحترقت اعماقي

رايات البرد انغرست في صدري

تخفقُ

تخفقُ

تخفقُ

والليلُ كئيب الآفاقِ

حتى الارصفة انطمرت وتخفت عن دربي

يا ربّي

الشرفاتُ تسافر تترك لي اشباح القفر

اصرخُ ....

اهتفُ ....

اركضُ حتى يكرهني الشارع°

امتدُّ شمالاً

وجنوباً

انحاء الكرة الليله°

صوتي يجثو جنبي
ركضي منحدرٌ في الاهواء وابعادي وهمية
يا ربّي
لا أطمح في وجهٍ آخر
لا ارضى بثلاث عيونْ
لا أقبلُ رجلاً اخرى
بل علّمني كيف اعيشْ

— ٤ —

بدأ توقف السيارة يزداد من حين لآخر حين بدأ الراكبون يصلون إلى اماكـــن اعمالهم • والى قرب الكلية نزل وتحسس الحقيبة ، والقى نظرة على حذائه •

كان الطين يصبغه بلونه الطبيعي •

الطلاب يندفقون إلى الداخل بسيول متصلة صامتة يتخللها صوت شحاذ عجوز معتاد على الوقوف، قرب الباب كل صباح •

وعلى الأسفلت تحسس وقع حذائه الطيني يترك

ذكرياته •

كانت يده تلامس بقية مصروفه اليومي حينما شعر بصوت المنبه ينبعث من سياره خلفه ، اتخذ جانب الاسفلت ، اجتازته وتوقفت عن قرب فنزل منها أحد الطلاب كان حذاؤه نظيفاً انعكس لونه الأسود بهدوء على الاسفلت الذي كان يغطيه ماء المطر الصافي •

لم يكن يهتم بمظهره كثيراً ربما لأنه لا يستطيع أن يشتري ملابس غالية الثمن ، لكنه يعلل ذلك بكونه يبحث في الاعماق ، كم يتمنى ان يتوغل الى جوهر الاشياء يعرف الأسرار والحقائق كما هي دونما تزيف او تظليل او صبغ •

مدنٌ فيها الاسوارُ دخانُ الاوهامْ
زمنٌ يتصيَّدُ من عينيَّ الاحلامْ
يفقئها
يكسر قشرة قنديلي الطالع من قلبي
ويشد رموشي
في شارعه المظلم يغرسها
عند الارصفة المكتئبة
فتدوس الارجلُ
تمشي
وتغوص الى اروقتي الملتهبة

اتبعثرُ في ريح الحيرة
اسقطُ عند دوار الشارع
تأتي عربة
تجرفُ اشلاء المظلومين المقتولين تكدسهم
اوراقُ الشجر الخضراء
احلام الفجر المقطوعة من ساقيها
تتضخم حتى الجشع النازف من عينيها
تتطايرُ منها في الاهواء
ازهارٌ كانت حمراء
تصفرُّ خلال العجلات الرعناء

ينسابُ قطيعُ الحراس وراء العربة
اعينهم تتخشب فيها النظراتْ
ادمعهم من جبل العتمة صخراتْ
زمن الصحراء ينامُ على اوجههم
ويغور ويرسب فيها
كانوا في اغلال الوهم ضباب
وعلى نظرتهم من جدب القيد سرابْ

***

ونهضت ، جمعت الاشلاء نفخت عليها
من قلبي ضوءاً
لكنّ القنديل ذبيح
لكني اتمزّق عبر مدار الظلماء الوحشية
وبكفيّ بقايا الضحكة مقطوعة
تتحرقُ فيّ
تحشرجُ
تلتاعُ
تصيحُ

لن تمضوا ابعد في المقتول°

خلوا دمه الاحمر يرسم في الاعين قنديل



في مقبرة الاحلام ادورُ ووجهي قنديلْ
تصفعُ عينيَّ الاكفانُ السوداء السوداءْ
تدخلُ بي قبراً
تتصلّبُ فيه اللحظاتْ
تمزجني بطلاء الجدران ، اسيل
اصلُ القعر الفاتح فكيهْ
يمضغني بقعاً في عينيهْ
واذوبُ .....
واهمي قطرات
يتمزّق وجهي كسراً جوفاءْ

قطراتٍ

كسراً

ودموعاً اهطل من قلبي

فتكركرُ مقبرة الاحلام الرعناء°

تغرسني فوق السور المصفرِّ الوَجه بكاء°

لا ....

يا مقبرةً خرساء°

وجهي قطعٌ من موسيقى الرحلة والعودة

وجهي يتوازى بين خطوط الموْت ، حياة

وجهي يتهافتُ بين دموعي ، ضحكات°

لا

يا مقبرة سوداء°

لا يرسب وجهي في ظلمه

لا

يا مقبرة غبراء°

وجهي بسمه

وجهي بسمه

تختلف التي تنتظره في الحديقة بعد الباب عن الآخريات .

احبَّ منهـا ملامح البارق المتجسدة في عينيها التي تضفي عليها هالات البراءة .

احبَّ منها انهـا تعيش في زمن يأتي ، يقطف المتعبون من غصونه ازهار الراحة .

وحينما رأته ابتسمت ، فغسلت من اعماقه الزوايا المظلمة وانبتت في دربه الشموع التي تستحم بطهارة البارق ، تبارك خطاه وتستحثها .

جاء وكان دربهُ عرائش الزهورْ
يفتح صدراً هادئاً ، عيناه نبضتا حنانْ
في يده عصا
فمن تلمسهُ ينقلبْ ملاكْ
وتبتني السماء فوقه جنان .
وعندما القى عصاه كانت الاحلام قنديلاً يرفّ
ومدن الليل تناءت ، رحلت
وكان نهر الخوف في قلبي يجفّ
على ضفافه اجتنى عرشاً وعبّ من عيوني الخمورْ

ـ لمَ لا تأتي وبحار الجدب تلف العالم
ـ ابحثُ عن دربي
كان على عيونه الطريق
وزمن في قلبه الاخضر لا يدور° ،
طلبت° منه حين سارا معاً ، ان يسرع فالبارق ينتظرهما

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢١٣ لسنة ١٩٧٣
١٠٠٠ / ٤ / ٤ / ١٩٧٣

السعر ١٢٥ فلس

رسم الغلاف الشاعر هاشم الصائغ

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٢١٣ لسنة ١٩٧٣
١٠٠٠ / ٤ / ٤ / ١٩٧٣